في انتظار الساعة الصفر

عبد الحميد الراعي

أقبل اليوم المشهود فهبّ كل أفراد العرش بمن فيهم القريب والبعيد. جاءوا بالكبش الذي وهبه والدي بالمناسبة فذبحوه أمام ضريح سيدي العيساوي وقاموا بطهي الكسكسي باللحم لإطعام كل أفراد الأهل ثم الأيتام والمساكين. وعلت الزغاريد في كامل أرجاء القرية، وبكيت خديجة وهي تتثاقل ببطنها المنتفخ . وبعد ساعات، تمّ إعداد موكب السيّارات التي ستقلني إلى المطار بتونس العاصمة، فركبت صحبة سي المختار بسيّارته (التي استهلت الركب) بينما جلس والدي أمامي بجانب السائق واصطفّت السيارات الأخرى وراءنا. ووقفت في آخر الركب شاحنة والدي المخصصة عادة لحمل العلف والدواجن والماشية والتي تمّ غسلها وفرشها بالحصير لحمل الفقراء القوم الذين لبسوا الجديد من ملابسهم وانتهزوا هذه الفرصة للقيام بنزهة مجانية إلى العاصمة، لتبقى هذه الرحلة ذكرى عزيزة سوف يتحيّنون كلّ فرصة لسرد تفاصيلها. وجاء ابن عمي محمود بعلم تونس فعلّقه بآخر الشاحنة، صحبة سنجق سيدي العيساوي المبارك ووقف الطبّال والزكّار يردّدان الألحان الشعبية فبدا الموكب لفرط الحركة التي تحيط بنا ختانا.

وانطلق ركب السيّارات تاركا قريتي في صمت مطبق، وظلّ سي المختار طوال الطريق يسدي إليّ نصائحه الثمينة بأن لا أنغمس في المغريات والموبقات .